"الخطة التربيعية" من طرق القتال عند الموحدين

الأستاذة/ حفصة معروف

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف

الملخص:

موضوع مداخلة " **الخطة التربيعية من طرق القتال عند الموحدين**" يسلط الضوء على خطة قتالية جديدة ابتكرها الموحدون، وتعرف كذلك بمربع القتال، وتدخل هذه الخطة ضمن استراتجيات القتال التي اعتمدها عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الدولة الموحدية (541-558ه/ 1147-1163م)، وهي عبارة عن خطة حربية تعتمد على الشكل التربيعي خلافا لما كان معهودا آنذاك عند الجيوش الاسلامية حيث كانت تعتمد نظام القتال الخماسي كطريقة للقتال؛ طبقها عبد المؤمن بن علي في سنة 539ه/ 1145م في السهل الواقع بين تلمسان ووهران وبالضبط في الموضع المسمي بـــ: **منداس أو مندامـاس** وذلك خلال مواجهته لجيوش المرابطين. ينتظم فيها الجيش على شكل مربع ويتكون هذا المربع من أربعة صفوف من الجهات الأربع بحيث كل صف يضم فرقة قتالية معينة، في حين يتواجد قائد المعركة في وسط هذا المربع رفقة فرقة الفرسان.

حسب ما توفر لدينا من مصادر فإن هذه الخطة لم ترد إلا مرة واحدة وفي مصدر وحيد وهو الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لصاحبه ابن سماك العاملي، وتكمن أهميته في أن صاحبه نقله عن ابن اليسع عن بعض الموحدين المشاركين في هذه المعركة.

من خلال الرسم الافتراضي الذي قمنا بإنجازه اعتمادا على نص ابن سماك العاملي، نلاحظ تنوع في الأسلحة المستخدمة في هذه الخطة القتالية بين أسلحة هجومية تضم القنا، الحراب، الحجارة، القسي والسهام، السيوف، وأسلحة دفاعية تضم الطوارق المانعة والدرق.

تتميز هذه الخطة القتالية بمجموعة خصائص ومميزات البعض منها يوجد في طرق القتال الاخرى والبعض الآخر منها يجعلها خطة فريدة من نوعها، حيث يظهر جليا تأثير دعوة المهدي محمد ابن تومرت وفكره وعقيدته العسكرية على هذه الخطة وذلك من خلال فكرة التربيع في حد ذاتها التي تعتبر أساس النظام العسكري والنظام الإقتصادي.

ابتكار عبد المؤمن لهذه الطريقة من القتال كان نتيجة سبع سنوات من حرب الجبال، أراد فيها تحقيق عنصر المفاجأة ليس في الهجوم أو القتال بل في طريقته.

عدم اعتماد الموحدين فيما بعد على هذه الخطة في القتال يوحي بأنها كانت مجرد خطة آنية تطلبتها الظروف ، ومع ذلك تبقى موضوعا يستحق الدراسة من قبل مختصين في الميدان العسكري.

تمهيد:

تندرج الخطط الحربية وطرق القتال ضمن موضوع الاستراتجية العسكرية والأعمال الحربية، و إذا كان العمل العسكري يمر بثلاث مراحل هي: التخطيط، الإعداد ثمّ التنفيذ، فإن التخطيط العسكري يشكل في حد ذاته عملا فكريا أساسيا يستهدف طبيعة العمل وكيفية تنفيذه، وهذا لا يكون دون معرفة الهدف الحقيقي[1]. ولا يمكن لأي عمل عسكري مهما كان مستواه أن يبدأ قبل

1 – الموسوعة العسكرية، تقديم الهيثم الأيوبي، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985، ج2 ، ص 119

أن تكون المعالم الأولى لتصميمه ومساره وأهدافه قد توضحت في ذهن القائد ومروؤسيه ، ولهذا جاء موضوع مداخلتنا الموسوم بـــ: **الخطة التربيعية من طرق القتال عند الموحدين** ليوضح البعد الفكري العسكري والسياسي الذي تشمله هذه الخطة الفريدة، وحجم الامكانيات التي خصصت، وطبيعة القتال فيها، كما نحاول كذلك الوقوف على مميزاتها وخصائصها والنتئج التي حققتها، ونخلص في الختام إلى ما مدى استمراريتها.

تعريف الإستراتيجية العسكرية والخطة الحربية:

الإستراتيجية بمفهومها العصري هي ترتيبات وتدابير يتوجب على القائد اتخاذها ليكون عسكريا وسياسيا في الوقت ذاته. و يعرف الخبراء العسكريون الإستراتجية أنها فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق أهداف السياسة [1]، ولهذا فإنّ الخطة الحربية أحد هذه الوسائط. أما الخطة العسكرية أو الحربية فهي التصميم الفكري والعلمي الذي يسبق البدء بإعداد وتنفيذ أي عمل عسكري وتمثل خطة التصور الأساسي الذي ينبغي على القائد إمتلاكه والتصرف على أساسه قبل البدء بالعمل، وهي تشمل العمل العسكري كله فيصبح هذا العمل بفضلها عملية واحدة ذات هدف نهائي واحد تنوب فيه كافة الأغراض الخاصة أو الجزئية. من خلال هذا التعريف البسيط للإستراتجية العسكرية والخطة الحربية، ندرك الإرتباط الوثيق بينهما وبين السياسة، نظرا لكون الأولى تستهدف تحقيق أهداف الثانية[2] ،وإذا كانت السياسة تمثل الذكاء فإن الحرب هي وسيلتها[3]. في هذا الإطار الذي يجمع بين

1 – ليدل هارت: الإستراتيجية و تاريخها في العالم، تر الهيثم الأيوبي، ط1، دار الطليعة، بيروت 1967، ص. 399؛ الموسوعة العسكرية، ج 1، ص.67

2 – الموسوعة العسكرية، نفس الجزء و الصفحة

3 – أكرم ديري: آراء في الحرب (الإستراتيجية و طريقة القيادة)، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،1981، ص.27

السياسة والحرب خاض الموحدون خلال فترة حكمهم لبلاد المغرب الاسلامي غمار حروب عديدة داخليا وخارجيا مستخدمين بذلك الجيش البري والأسطول البحري وهذا بهدف الحفاظ على دولتهم ومحاربة أعداءهم في الداخل أو الخارج معتمدون على نظام عسكري دقيق وضع أسسه الأولى عبد المؤمن بن علي[1] الذي اشتهر ببراعته الحربية واستراتجيته العسكرية المتميزة[2]، ولأن الثقة في نجاح العمليات الحربية يتوقف على الخطة التي وضعها القائد، فإن الموحدين بقيادة عبد المؤمن طبقوا في أول مواجهة مباشرة لهم ضد المرابطين بعد معركة البحيرة[3] خطة حربية فريدة من نوعها وهي **"الخطة التربيعية"**.

---

1 - عبد المؤمن بن علي بن علويّ الكَومي نسبة إلى كَومية، وهي قبيلة صغيرة كانت تسكن على ساحل البحر بضواحي هنين من أعمال تلمسان. ولد بقرية تاجرة سنة 487 هـ 1094 /م في عهد يوسف بن تاشفين، من أب كان يشتغل بالطين. وحسب عبد الواحد المراكشي، فإن عبد المؤمن كان يقول إذا ذكر كَومية: "**لست منهم وإنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان؛ والكَومية علينا حق الولادة بينهم والمنشإ فيهم، وهم الأخوال**" . المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963 ص. 265؛ حفصة معروف: الفكر العسكري عند الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، دار شطايبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434ه/ 2013م، ص.10-11 ، وقدر له أن يسجل اسمه ضمن قائمة العظماء من مؤسسي الدول في الحضارة العربية الإسلامية وقاد الموحدين وفق سياسة حكيمة ودهاء استطاع بها توحيد بلاد المغرب الاسلامي بما فيها الأندلس. توفي سنة 558 هـ / 1163م. صالح يوسف بن قربة: شخصية عبد المؤمن بن علي من خلال نقودهن الموقع الالكتروني:
http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad25partie8.htm#_ftn36

2 - حول استراتجية عبد المؤمن العسكرية ينظر مقالنا: الاستراتجية العسكرية عند عبد المؤمن بن علي الموحدي ضمن دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، العدد4، 2010، ص.133.

3 - تعتبر معركة البحيرة من اشهر المعارك وأكثرها شراسة وقعت بين جيش المرابطين بقيادة علي بن يوسف بن تاشفين، وجييش الموحدين بقيادة عبد المؤمن بن علي، بالقرب من مدينة مراكش في 2 جمادى الأولى سنة 524هـ ـ 11 أفريل 1130م، انتهت بكارثة مروعة وقعت على الموحدين، قتل فيها عدد هائل من الجيش و قادة الجيش، وكان مدعي المهدية ابن تومرت مريضًا وقتها، فلما سمع بأخبار الهزيمة الشنيعة تزايدت عليه علته حتى وافته المنية بعد ذلك بقليل. للمزيد أنظر عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص260؛ عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشيي والفهارس خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421ه/2000م ، ج6، ص.305.

عرض وتحليل الخطة التربيعية:

1. التعريف بالخطة التربيعية وإطارها المكاني والزمني :

تعرف كذلك بـــ **"مربع القتال"** عبارة عن خطة حربية تعتمد على الشكل التربيعي خلافا لما كان معهودا آنذاك عند الجيوش الاسلامية، والتي كانت تعتمد نظام القتال الخماسي[1] كطريقة للقتال؛ طبقها عبد المؤمن بن علي في سنة 539ه/ 1145م في السهل الواقع بين تلمسان ووهران وبالضبط في الموضع المسمي بـــ: **منداس أو منداماس**[2] وذلك خلال مواجهته لجيوش المرابطين. ينتظم فيها الجيش على شكل مربع ويتكون هذا المربع من أربعة صفوف من الجهات الأربع بحيث كل صف يضم فرقة قتالية معينة، في حين يتواجد قائد المعركة في وسط هذا المربع رفقة فرقة الفرسان.

---

1 – يعتبر نظام القتال الخماسي النظام الذي كان معتمدا في حروب المسلمين ويتكون من مقدمة، جناحين، قلب، وساقة. عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، مصر، 1961، ص.238.

2 – رغم أن المصدر الذي استقينا منه نص الخطة التربيعية كما سيأتي عرضه، لم يوضح إن كان هذا الاسم (منداس) قد أطلق على يوم المعركة نسبة لاسم المكان الذي وقعت فيه أم لاعتبارات اخرى ، لكن نحن نرجح أن يكون كذلك حيث يذكر ابن عذاري المراكشي : " **فلما حقق الأمير تاشفين وصول عبد المؤمن إلى تلك الجهات واجتماعه بزناتة دخل تلمسان وجند فيها عسكرا وبعثه إليه فاجتمع معه في موضع منداس**". البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تح محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985/1406، ص. 19؛ كما يورد ابن خلدون نفس الأمر. عبد الرحمان بن خلدون: العبر، ج6، ص.307. وما يلاحظ اليوم أنّ عِدّة مناطق في شمال أفريقيا تحمل أسماء بطونٍ من قبيلة هوّارة ، مثل: منداس، مليلية، ورفلة مسراتة، غريان، تاورغة، زغّاوة (زگاوة)، زگارة، مسلاتة، مَجريس، ترهونا، هرّاغة. و منداس اليوم هي إحدى الدوائر والبلديات بولاية غليزان الجزائرية ولهذا يمكن أن نقول أن المكان اتخذ تسميته من منداسة أحد فروع قبيلة هوارة. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص.183.

2. المصادر التي تحدثت عن الخطة التربيعية:

لم ترد هذه الخطة القتالية ذات النظام التربعي إلا مرة واحدة وفي مصدر وحيد وهو الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لصاحبه ابن سماك العاملي حيث ينقل لنا نصا بالغ الأهمية حول هذه الخطة فيقول: " **قال ابن اليسع : حدثني غير واحد من الموحدين قال : لما نزلنا من جبل تلمسان نريد بلاد زناتة ، تبعنا المرابطون ، فتلاقينا معهم ، قال : فصنعنا دارة مربعة في البسيط ،جعلنا فيها من جهاتها الأربع صفا من الرجال بأيديهم القنا الطوال، والطوارق المانعة ، ووراءهم أصحاب الدرق والحراب صفا ثانيا من وراءهم ، ووراءهم أصحاب المخالي فيها الحجارة ، ووراءهم الرماة بقوس الرجل وفي وسط المربعة الخيل ، فكانت خيل المرابطين اذا دفعت إليهم لا تجد إلاّ الرماح الطوال الشارعة ، والحراب والحجارة والسهام الناشرة ، فحينما تولى من الدفع وتدبر ، تخرج خيل الموحدين من طرق تركوها ، وفرج أعدوها فتصيب من أصابت ، فإذا كرت عليهم دخلوا في غاب القنا، وكان هذا يعرف بيوم منداس، فقد فيه من جيوش المرابطين ما لا يحصى ...**"[1].

1 -أبي القاسم محمد ابن سماك العاملي: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010. ص.202-203

3. رسم تخطيطي افتراضي[1] للخطة التربيعية من خلال نص صاحب الحلل الموشية:

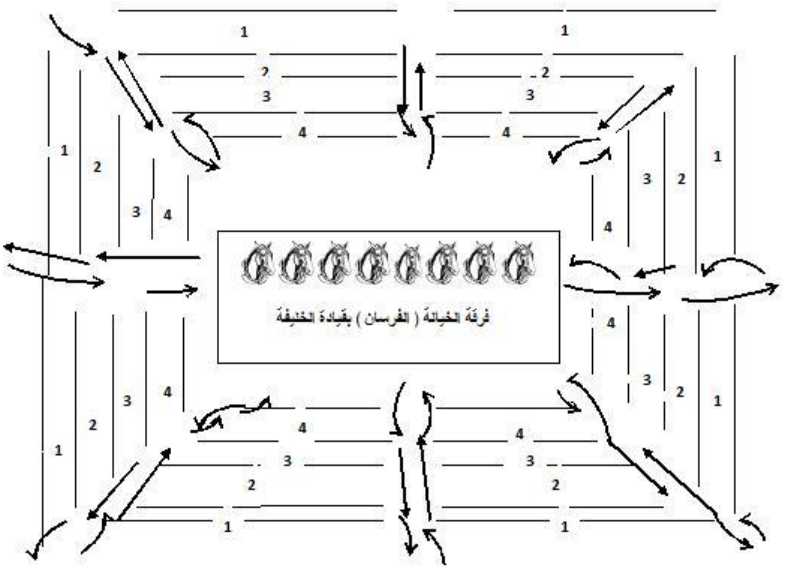

1- الصف1 أصحاب القنا الطوال والطوارق المانعة

2- الصف 2 أصحاب الدرق والحراب

3- الصف 3 أصحاب المخالي فيها الحجارة

4- الصف 4 الرماة بقوس الرجل

خروج ودخول فرقة الخيالة عبر منافذ مخصصة لذلك

4- الأسلحة المستعملة في هذه الخطة :

يظهر جليا من خلال النص الوارد في الحلل الموشية أن الأسلحة المستعملة ضمن هذه الخطة هي: القسي والسهام، الحجارة، القنا الطوال، الطوارق المانعة، الدرق، الحراب، بالإضافة إلى الخيلوما يحمله الفرسان من سيوف.

1 – من إنجاز الباحثة.

يمكن تقسيم هذه الأسلحة إلى نوعين أسلحة هجومية تضم القنا، الحراب، الحجارة، القسي والسهام، السيوف، أسلحة دفاعية تضم الطوارق المانعة والدرق.

أسلحة الهجوم:

أ. **القسي والسهام:**

القسي أو الأقواس جمع قوس، أما السهام جمع سهم وهي النبال أو النشاب. وتسمى الفرقة التي تحمل هذا النوع من السلاح بالرماة. يعتبر **القوس** من الأسلحة الفردية القديمة جدّا[1]، و في الأصل هو عود من شجر جبلي صلب، يُحنى طرفاه بقوة، ويُشد فيهما وترٌ من الجلد أو العصب الذي يكون في عنق البعير. وكان العرب يسمونها الذِّراع[2]، لأنها في طولها، ولذا كانوا يتخذون منها وحدة للقياس، فيقيسون بها المذروع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**فَكَانَ قَابَ**

1 – حول تاريخ القوس ينظر سالم سليمان الخماش: ألفاظ الحياة في معجم القوس على الموقع الالكتروني:
http://www.angelfire.com/tx4/lisan/dirasat/Qaws.htm#_ftn127

2 – الذراع في **اللغة** اليد من كل حيوان، لكنها في الإنسان من المرفق إلى أطراف الأصابع، أو من المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى، ويجري بها القياس، وهي ذراع الانسان المتوسط، وقدرت بست قبضات، وتسمى ذراع العامة، وهي أنقص من ذراع الملك بقبضة، وهي مؤنثة، وبعض العرب يذكرها، و لم يعرفه الأصمعي، وقال الزجاج التذكير شاذ، وهي مفرد يجمع على أذرع وذُرعان. والذراع في **اصطلاح** الفقهاء مقياس للطول ولها أنواع مختلفة الطوال، وقد ذكر الماوردي لها سبعة انواع. وقد اختلف الفقهاء في الذراع الشرعية التي تقدر بها المقدرات الشرعية حيث يعتبر الأساس لقياس الطول عندهم، وقد اتخذوا لها أضعافا كالباع والميل والفرسخ ... واتخذوا لها أجزاء كالإصبع والشعيرة والشَعْرة، وغالباً ما يستفي الفقهاء باستعمال أضعاف الذراع أو أجزاءها في تقدير الأحكام الشرعية المنوطة بالطول، كمسافة السفر، ومسافة بعد الماء في التيمم، وبعد مكان الأب أو الأم في الحضانة، وهذه تعرف في أبوابها من كتب الفقه، وفي مصطلحاتها من الموسوعة الفقهية. بالنظر لاختلاف الفقهاء في طول الذراع الشرعية فلا بد أن يختلف طولها بالمقادير الحديثة بحسب ذلك، إلا أن المتفق عليه بينهم هو الإصبع، وهي تساوي الآن/10925/سم سنتيمتراً، وعلى ذلك يمكن لنا تحديد طول الذراع الشرعية بحسب المذاهب ، فيكون طول ذراع الملك /53.9/سم سنتيمتراً، وهو قول آخر عند الحنفية وقول عند المالكية، وهو مذهب الشافعية، أما على حسب قول المالكية الآخر فتكون الذراع /69.3/سم سنتيمتراً على حسب عدها/36/إصبعاً. شبكة الفتاوي الشرعية. مادة ذراع، الموقع الالكتروني:
http://www.islamic-fatwa.com/index.jsp?inc=17&id=202&type=4&cat=11

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[1] ، أي قدر قوسين عربيين أو قدر ذراعين. وعلى الرامي إذا أراد الرمي، أن يمسك وسط القوس باليسرى، ثم يثبت السهم في وسط الوتر باليمنى، ثم يجذب إليه مساوياً مرفقه الأيمن بكتفه، مسدداً بنظره إلى الهدف، فإذا بلغ الوتر نهايته تركه من أصابعه، فاندفع إلى وضعه الأول، دافعاً أمامه السهم إلى هدفه.

أما **السهم**: فإذا القوس بالنسبة للرامي كالبندقية فإن الأسهم كطلقاتها[2]، ولابد للرامي من أن يحتفظ في كِنانته بعدد من الأسهم عند القتال . هو عود رفيع من شجر صلب في طول الذراع تقريباً، يأخذه الرامي فينحته ويسويه، ثم يفرض فيه فِراضاً دائرية، ليركب فيها الريش، ويشهده عليها بالجلد المتين أو يلصقه بالغراء ويربطه ثم يركب في قمته نصلاً من حديدٍ مدبب، له سنتان في عكس اتجاهه، يجعلانه صعب الإخراج إذا نشب في الجسم[3]. لكل من القوس والسهم أجزاء دقيقة لها مسميات البدن الحي[4] والشكلين الآتين[5] يوضحان هذه الأجزاء.

---

1 – سورة النجم، الآية 9

2 – عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، ص.130

3 – حول جودة صناعة القوس والسهم واختيار نوع الخشب أنظر عبد الروؤوف عون: نفس المرجع والصفحة.

4 – أنظر سالم سليمان الخماش: ألفاظ الحياة في معجم القوس على الموقع الالكتروني: http://www.angelfire.com/tx4/lisan/dirasat/Qaws.htm#_ftn127

5 – نقلا عن عبد الرؤوف عون: نفس المرجع والصفحة.

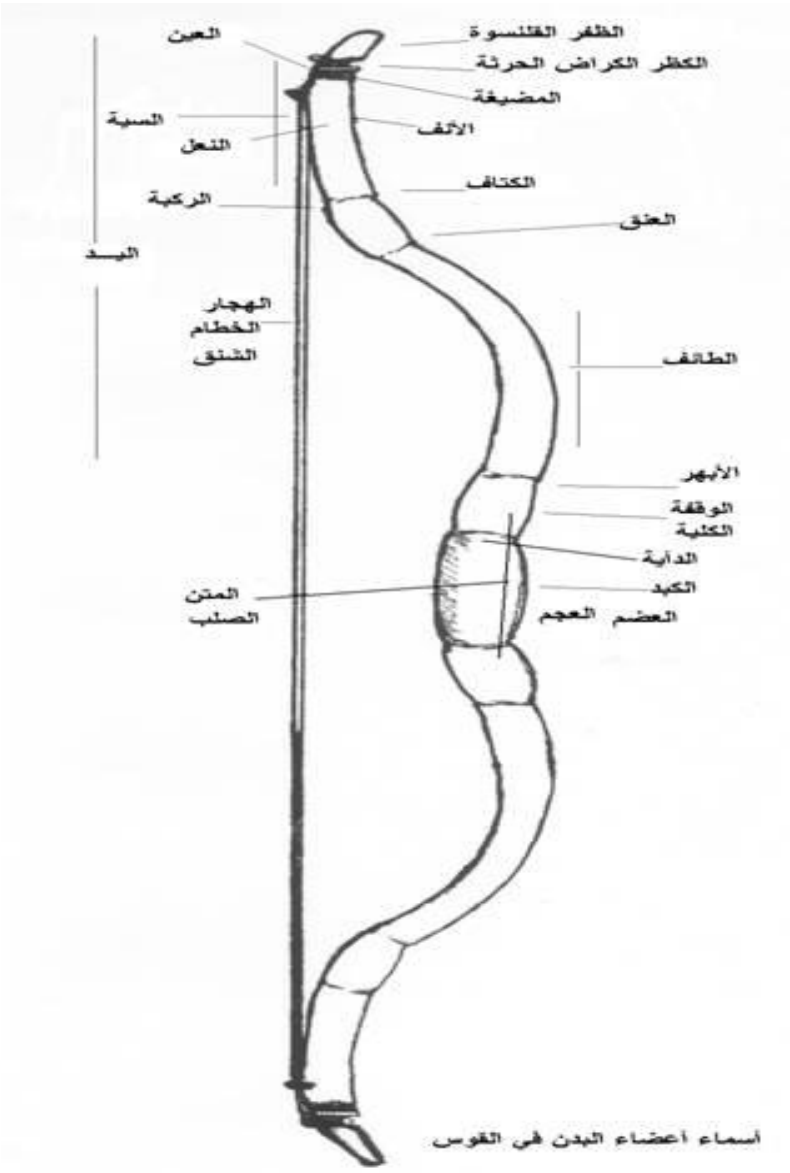

شكل 1: أجزاء القوس

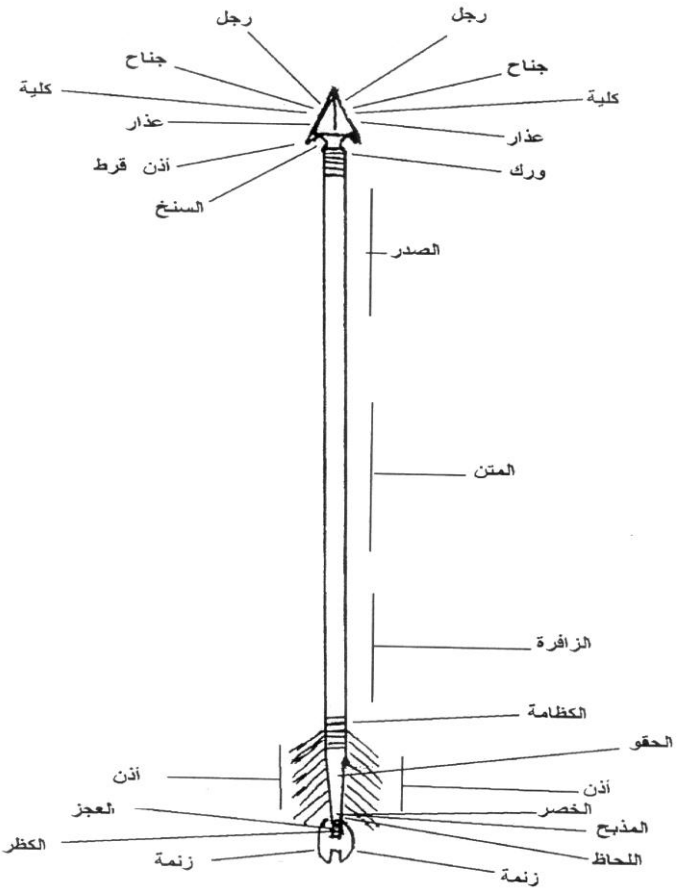

شكل 2: أجزاء السهم

ب. **السيوف:**

جمع سيف وهو أشرف الأسلحة عند العرب وأكثرها غناء في القتال، يحافظ العربي على سيفه ولا يكاد يفارقه، وقد امتلأت بتمجيده أشعارهم، وجاوزت أسماؤه المائة في لغتهم. وهو آخر الأسلحة استعمالاً في المعركة بعد القوس والرمح، وذلك أن القتال يكون أول أمره بالسَّهام عن بُعْد، ثم تطاعناً بالرماح عند المبارزة واقتراب الصفوف، ثم تصافحاً بالسيوف عند الاختلاط، ثم تضارباً

بالأسلحة البيضاء، وخلساً بالخناجر عند الالتحام والاختلاط[1] فهو الذي يحدد مصير المعركة، وعلى حسن بلائه تتوقف نهايتها . وسيوف العرب أنواع كثيرة تختلف باختلاف صنَّاعها وأماكن صنعها[2]. وبالنسبة لهذا السلاح ضمن خطة التربيع فرغم انه لم يذكر في الصفوف الأربع للخطة، لكن من الطبيعي أن تكون فرقة الخيالة التي تتوسط المربع القتالي اعتمدت على هذا السلاح بالدرجة الأولى.

صورة 1: السيف

1 – شهاب الدين أحمد النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق علي بوملحم، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت، 1424ه /2004م، ج6، ص158

2 – السيف اليماني نسبة إلى اليمن، والهندي أو الهندواني أو المهند، وهو المصنوع في الهند، وهو يلي اليماني بالجودة، والمشرفي المنسوب إلى مشارف الشام، والقَلَعي نسبة إلى القلعة حصن بالبادية، والبُصْرِوي المنسوب إلى بُصْرى بالشام. أنظر عبد الرؤوف عون: الفن الحربي، ص. 129

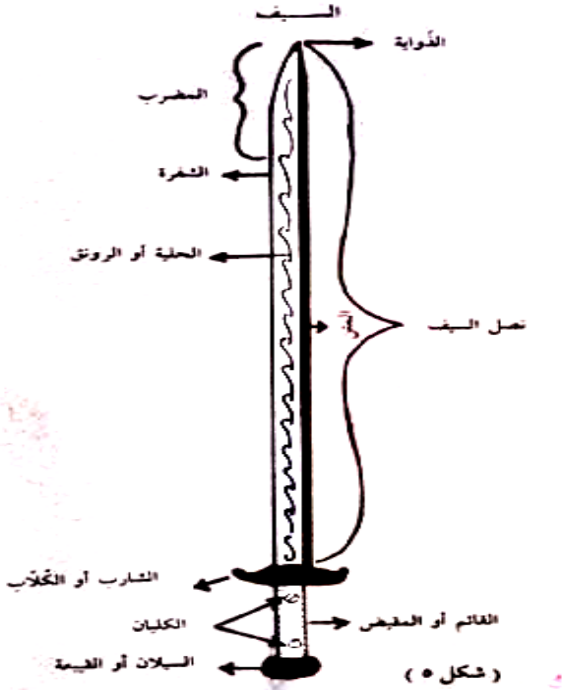

شكل 3: أجزاء السيف[1]

القنا الطوال:

جمع قناة، وهي الرماح[2] الطويلة. جاء في لسان العرب أن كل خشبة عند العرب قناة وعصا، والرمح عصا، والقناة من الرماح ماكان أجوف كالقصبة[3]، وفي المعجم الوسط هي الرمح الأجوف و كل عصا مستوية أو معوجة[4].

1 – عبد الرؤوف عون: نفسه

2 –أحمد بن محمد الفيومي المقري: المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، مادة قنو، ص.198.

3 – ابن منظور: لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، د.ت، مج5، ج42، مادة قنا ص.42

4 – المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1425ه/2004م ، ص. 764، (مادة أقنت)

كان العربي يتخذ رمحه من فروع أشجار صلبة، أشهرها النبع والشوحط، وأحياناً كان يأخذه من القصب الهندي المجوّف بعد تسوية عُقده بالسكين، وتركيب نصل من حديد في رأسه. والرمح سلاح عريق في القدم[1]، شاع استعماله عند الشعوب القديمة، وكان أكثر شيوعاً عند الأمم التي ترتاد الصحراء، ومنهم العرب.وكان للرماح أطوال مختلفة، تتراوح بين الأربع أذرع والخمسة والعشرة وما فوقها، و الرماح الطوال خاصة بالفرسان حيث تساعدهم الخيل على حملها، أما النيازك أو المطارد وهي الرماح القصيرة فقد يستعملها الراجل والفارس أيضاً. وكان العرب يعنون بالرمح، ويفضّلون القناة الصماء على الجوفاء لصلابتها وغنائها في المعارك، فيوالون دهنها بالزيت لتحافظ على مرونتها ولدونتها. وطريقة حمل الرمح، كانت في الغالب: الاعتقال، وهو خاص بالفرسان، وهو جعل الرمح بين الركاب والسّاق[2]، بحيث يكون النصل لأعلى والزج لأسفل[3].ويمكن الاستنتاج من خلال نص الخطة التربيعية أن الصف الأول من المقاتلين كانوا يحملون القنا الطوال والتي هي أساسا رماحا أو حرابا طويلة فهي الاكثر ملائمة لوضعهم كمشاة ولوجودهم

---

1 – ورد ذكره في الأسفار القديمة والجديدة من الكتاب المقدس على أنه مصنوع من المعدن ومن الخشب كذلك. ويطلق عليه كذلك الحربة و المزراق. أنظر شرح كلمة سلاح / أسلحة في قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية على الموقع

http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/12_S/S_101.html

2- النويري: نهاية الأرب، ج6، ص. 186

3 – على أنه كان لقسم من القبائل العربية طرائق خاصة في حمله، فبنوا سُلَيْم كانوا إذا ركبوا يضعون رماحهم بين آذان خيلهم، والأوس والخزرج كانوا يحملونها عليها مستعرضة، أما قريش فكانوا يحملون رماحهم على عواتقهم وكان المسلمون يقضون وقتاً طويلاً في التدريب على استخدام الرماح: إما بمطاردة الوحوش وطعنها بها، وإما بإعداد حَلْقة من الحديد تسمى: (الوترة) يتمرنون على الطعن داخلها، حتى حذقوا الطعن بها. عبد الرؤوف عون: الفن الحربي، ص143- 144

في الصف الامامي مع الاخذ بعين الاعتبار أنهم مزردين بالطوارق المانعة كوسيلة دفاعية.ومن الممكن أن تكون هذه القنا ذات نوع خفيف حتى يسهل رميها على العدو قبل اقتراب جنوده ووقوع الإلتحام بين الطرفين.

صورة 2: الرمح

د. الحراب:

جمع حربة وهي الرمح القصير . وفي اللغة العربية الفصحى أن الحربة والنيزك والمزراق والمطرد والعَنَزة، كلها أسماء لشيء واحد[1]، وهي القصار من الرماح التي لم تبلغ أربعة أذرع، وهي أشبه شيء بالعصا. واحدة من أقدم الأسلحة المعروفة. استخدم الناس الحِراب في الصيد وفي الحرب منذ عصور ما قبل التاريخ. تركيب الحربة بسيط. فهو يتكون من عمود أو قصبة طويلة لها رأس مدبب حاد. أقدم الحراب كانت قصبات خشبية لها طرف واحد مدبب وحاد. والحراب التالية لها، كانت ذات رؤوس مصنوعة من عظام الحيوان والصخر الحاد والبرونز والحديد. يمكن استخدام الحراب في الحروب بطريقتين أساسيتين: يمكن رميها من بعد أو استخدامها في الطعن، لذلك فقد كان المحاربون الرومان القدامى يحملون حربتين، حربة خفيفة لرميها من بعد، وحربة

1 – أنظر لسان العرب، المصباح المنير، المعجم الوسيط (مادة: حرب، نزك، طرد، عنز).

أثقل للالتحام عن قرب، ولهذا يمكن القول أن جند الصف الثاني من المربع القتالي(أصحاب الحراب والدرق)، كانت حرابهم أقصر وأثقل مقارنة بجند الصف الأول أصحاب القنا الطوال، كما أنّ فرقة الخيالة في وسط المربع من المرجح أنها كانت تحمل الحراب القصيرة كسلاح مرافق للسيف.

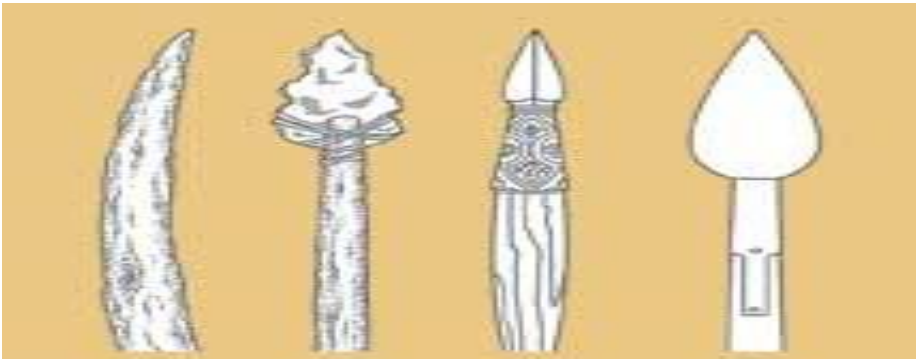

شكل 4: أشكال الحربة

٥. المخالي التي فيها الحجارة: جمع **المِخلاة**

إذا كانت الحجارة كسلاح هجومي ودفاعي معروف يرمى به العدو، فالمخالي هي وسيلة حمل هذه الحجارة، أما القذف بها على العدو فيتم بواسطة آلة خاصة تعرف **بالمقلاع**[1] أو **مرماجة**. بالنسبة للمخالي فهي عبارة أكياس و حقائب كبيرة تصنع من جلود الأنعام أو من القماش[2] فبالإضافة إلى استعمالها الحربي من حمل أغراض الجندي أو جمع الحجارة فيها، استخدمت لأغراض

1 – قاموس الكتاب المقدس، مادة سلاح
http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/12_S/S_101.html

2 – شريف آل ذهب: شرح المفردات العامية في القصيدة الدارفورية (تراث قوم) للشاعر أحمد السنوسي أحمد، صحيفة صدى الأحداث السودانية، الموقع الالكتروني:
http://www.sadaalahdas.com/news.php?action=show&id=113

عديدة، حيث تملأ بالعشب و تعلق في عنق الدابة لتأكل منها ولهذا الغرض سميت بالمخلاة[1]، أو يحملها المسافر على ظهره أو دابته حيث يجعل فيها زاده من الأكل و الملبس أو غير ذلك من المتاع، كما استعملها المتسولون لجمع ما يجود به عليهم المحسنون، وحتى اجدادنا استعملوها أثناء التسوق لحمل المشتريات إلى البيت وستر ما يوجد فيها عن أعين المتطفلين. ونظرا لتعدد مجالات استخدامها فقد تعددت أحجامها وأشكلها الفنية حسب أغراض استخدامها. أما المقلاع أو المرماجة فهي أداة مصنوعة من قطعة منسوجة من الصوف أو الجلد مستطيلة الشكل أو بيضية ، ثبت في طرفيها العرضيين حبل مفتول أو شريط من الجلد بحيث يضع الرامي الحجر او يضم الحبلين ويرفع إلى أعلى ويقوم بتدوير المقلاع بسرعة شديدة ويفلت أحد الحبلين فينطلق الحجر إلى الهدف المراد إصابته. وقد استخدم هذا السلاح عند الشعوب القديمة لأغراض متعددة كصيد الطيور وعند الرعي لطرد الخرفان الشاردة[2]، بالاضافة الى الاستعمال الحربي. وكما يبدو من خلال هذه الخطة أن أصحاب الصف الثاني كانوا يحملون هذه المخالي

---

1 – نسبة إلى الخَلَى وهو الحشيش او العشب الذي يحتشى من حقول الربيع أو النبات الرقيق مادام رطبا والمخلاة هي ما وضع فيه الخلى (العشب او الحشيش) أنظر ابن منظور: لسان العرب، مج2، ج14، ص.1258 (مادة خلا). إلى جانب تسميها بالمخلاة، و من خلال زياراتي للمغرب الأقصى يطلق عليها هناك سگرس جمع أسگراس وفي بعض المناطق الليبية بنفوسة والجنوب التونسي يطلق عليها إيسيرس وسگرس على الحجم الكبير منها وهو مذكر أما الحجم الصغير فتسمى تسگرست وهي مؤنثة وتصنع عندهم من وبر الإبل ومنها نوعان النوع الأول ويوضع على الظهر أو يعلق على الكتف أما الثاني ويسمى (لخورج) فيتكون من مخلتان متقابلتان يتم نسجها معا ويوضع على الكتف ومن العادة توضع على ظهر الحيوان وتستخدم لحمل الخضار وغيرها من الأشياء والقديم منها يستعمل لتقديم الشعير للحصان أو الفرس وذلك بتعليقه له.

2 – قاموس الكتاب المقدس، مادة سلاح. الموقع:
http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/12_S/S_101.html

(الأكياس) المملوءة بالحجارة على أكتافهم أو ظهورهم ويقومون بقذف الحجارة على جيش المرابطين بواسطة المقلاع.

صورة 3: المخالي (أســـسگراس)

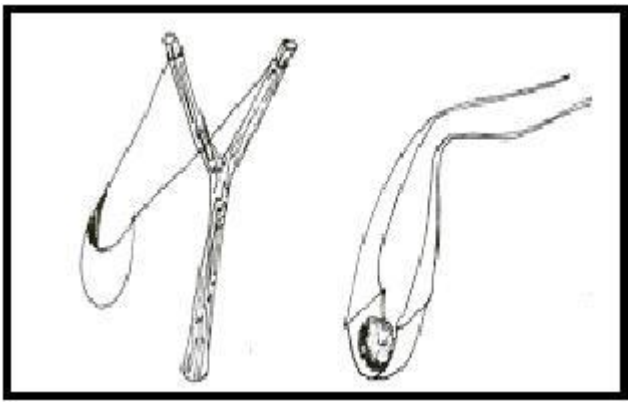

شكل 5: المقلاع

الخيل:

بالإضافة إلى الأسلحة المادية التي ذكرناها ، هنالك وسائل أخرى حية ذكرها النص وهي الخيل من خلال الإشارة تعتبر الخيول مجد الإسلام وعماد طريقة الكر والفر فقد كان للحصان مكانة في شمال افريقيا مند العهد الفنيقي والروماني[1].

يعتبر الحصان من أهم وسائل القتال في الجيش لقدرته الكبيرة على المناورة والتنقل السريع في الميدان، وكانت خيول الموحدين المفضلة تجلب من إفريقية وهي مدربة تدريبا جيدا في تونس.

كما كانت تجلب من تلمسان، ويختارون المسوّمة منها، أما البقية فتوزع على القبائل[2]. ومن خلال الخطة التربيعة يبدو جليا أن فرقة الفرسان كان تتوسط المربع القتالي حيث يتواجد في وسطها الخليفة وحرسه الخاص.

أسلحة الدفاع

أ. الدرق:

الترس هو كل ما يتوقى به من السلاح، فهو من الآلات الدفاعية وتعرف كذلك بالمجن والمجن هو **الترس** الكبير أما الترس فهو الصغيرمنها . حيث يحمل المحارب الترس بحزام جلدي على ظهره، فإذا جاءت المعركة نزعه ليستعمله بيده اليسرى، بإدخال اليد تحت سيرين من الجلد على مؤخر الترس وقبض الأصابع على سير صغير عند حافته. وكان الترس يستعمل لحماية المحارب من السهام والرماح والحجارة وقطع النار الملتهبة التي كانت تلقى على

1 – كمال أحمد عادل: الطريق إلى المدائن، ط1، دار النفائس، بيروت، 1986، ص.67

2– عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهما لله أئمة، وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين، ومافي مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين، تحقيق، عبد الهادي التازي، ط 1، دار الأندلس، بيروت، 1964 ، ص.215، 419، 437

الجنود.[1] وقد شهدت تطورا في طريقة صنعها فكانت تصنع من درق السلاحف الكبيرة ثمّ صنعت من ألواح الخشب والجلود القاسية والمعادن، وسميت كذلك **الحجف** ولها أنواع كثيرة من حيث صنعها وشكلها[2] . ويذكر النويري أن كل ماأتقي به هو الجُنة وتشمل الترس، البيضة، الدرع، الدرق[3].

صورة 4: ترس خشبي مستدير

1- قاموس الكتاب المقدس، مادة سلاح،
http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/12_S/S_101.html

2- عبد الرؤوف عون: الفن الحربي.. ، ص. 186

3 - نهاية الأرب، ج6، ص.204

صورة 5: ترس مستطيل

ب. الطوارق المانعة:

لم نعثر على تعريف صريح ودقيق لهذا النوع من السلاح، ويبدو من خلال كلمة مانعة أنها كانت من الأسلحة الدفاعية لأنها تحمي صاحبها من العدو. فإما أنها عبارة عن درق (ترس، مجن) تُحمل أو دروعا[1] تلبس أو بيضات[2] توضع على الرأس. ومن خلال النص الوارد عن الخطة التربيعية أن جند الصف الأول وهم أصحاب القنا الطوال أي الرماح الطوال هم من يحملونها أو يلبسونها وذلك لتحميهم من ضربات عدوهم جيش المرابطين، خاصة أنهم في الواجهة ويتقدمون الجيش من جهاته الأربع. أما عن تسميتها بالطوارق فيمكن إرجاع ذلك إلى عدة اعتبارات:

---

1 – من أهم وسائل الدفاع، فهي تستعمل للوقاية الشخصية و بها يقاتل صاحبها أمنا قوي القلب، والدرع في غالب أمرها قميص ينسج من حلق حديدية رفيعة، و هي نوعان سابغة و بتراء، عن وصفها، أنواعها و تطورها أنظر عبد الرؤوف عون: الفن الحربي، ص. 175 و ما بعدها؛ أحمد عادل: الطريق إلى المدائن، ص. 88

2 – البيضة: هي خوذة من الحديد أو الفلاذ تبطنها مواد لينة، و هي مستديرة بإستدارة الرأس لها مقدم يسمى القونص، و لها مؤخر من الزرد المتصل بها ليطرحه الرجل على ظهره فيقوم مقام المغفر و هي تنتهي من أعلاه بقمة مذببة؛ عبد الرؤوف عون، المرجع السابق ص.184 ؛ أحمد عادل: المرجع السابق، ص90

– كونها مرافقة[1] للرمح، فإذا كان هذا الأخير لا يفارق يمين المحارب (من فئة الرماة) فإن الترس لا تفارق يساره.

– كونها دروعا أو بيضات مركبة على شكل طبقات مصنوعة من الحديد وتحدث صوتا بفعل طرق بعضها على بعض[2] .

صورة 6: بيضة مدببة الرأس (خوذة الرأس)

صورة 7: الدرع ولواحقه (خوذة، مغفر)

1 – مثل مرافقة الزوجة لزوجها. "**كل إمرأة طروقة زوجها** " ابن منظور: لسان العرب ، مج4، ج 30، ص. 2662 (مادة طرق)

2 – جاء في لسان العرب: "**طراق بيضة الرأس طبقات فوق بعضها... المجان المطرقة: التي يطرق بعضها على بعض. ويقال أطرقت بالجلد والعصب أي ألبست ، وترس مطرق...الطراق: حديد يعرض ويدار فيجعل بيضة أو ساعدا أو نحوه، فكل طبقة على حدة طراق**". نفسه ص.2664

صورة 8: بيضة مستديرة

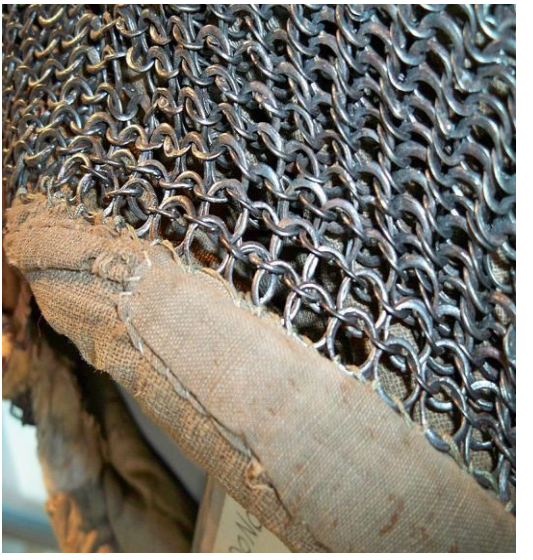

صورة 9: حلقات الحديد الرفيعة التي تنسج منها الترس والخوذات

5- شرح و تحليل الخطة

أ. مميزات وخصائص

من خلال ما ذكرناه سابقا واعتمادا على النص الذي ورد في كتاب الحلل الموشية أن الخطة القتالية التي استعملها الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي تتميز بـــ:

- ذات شكل مربع و هي خطة قتالية جديدة ابتكرها تلتزم فيها كل فرقة عسكرية مكانا معينا. وبذلك جاءت مختلفة تماما عن نظام القتال الخماسي المعهود عند المسلمين والذي يقسم فيه الجيش إلى خمسة أقسام: مقدمة، جناحان (ميمنة، ميسرة) ، قلب، ساقة (مؤخرة).

- تتضمن هذه الخطة أربعة صفوف قتالية من الجهات الأربع حيث تشغل كل فرقة صفا معينا و تختلف عن الاخرى من حيث طبيعة السلاح المستعمل، و يكون فيها القتال من الجهات الاربع بناء على الشكل التربيعي.

- تشير الخطة إلى وجود فرقتين متخصصتين الاولى الرماة وهي التي تشغل الصف الأمامي من الجهات الأربع و تحتمي بدروع مانعة ، فرقة الخيالة أو الفرسان التي تشغل وسط المربع.

- إذا كان الرماة جدارا أماميا للجيش فإن فرقة الفرسان هي الظهر والتي يبدو من الخطة أنها كانت تقوم بحماية الخليفة وقائد المعركة وهو عبد المؤمن بن علي، كم تعبر قوة خلفية داعمة للصفوف الاربعة وذلك في حال توغل جند المرابطين في بين الصفوف حيث تعمل على تشتيت قواهم بين هذه الصفوف **"دخلوا في غاب القنا"**

- تطبيق هذه الخطة القتالية قد تمّ في أرض منبسطة وذلك في السهل الممتد بين وهران وتلمسان. وتعتمد على أسلوب القتال المباشر وهذا ما يتطلب تحضيرا جيدا محكما من الطرفين.

- وجود مخارج ومنافذ بين الصفوف الأربع وذلك لتسهيل خروج الفرسان لمهاجمة جيش المرابطين ثم عودتها إلى مكانها.

- تعدد أنواع الأسلحة المستعملة في القتال بين هجومية ودفاعية لكن في أغلبها أسلحة فردية .

ب. تحليل واستنتاج

تطرح تساؤلات عديدة حول هذه الخطة القتالية ومن هذه التساؤلات:

- ما هي المرجعيات الفكرية والعسكري المعتمدة في تطبيق هذه الخطة؟
- ما هي أسباب وظروف تطبيقها؟
- هل حققت النتائج المرغوب فيها؟
- ما مدى استمراريتها بعد ذلك؟ فهل كانت خطة حربية آنية فقط أم أنها نظام قتال قائم بذاته؟

من خلال دراستنا لهذه الخطة يمكن الخروج بالتحليلات والنتائج الآتية:

أولا: بالنسبة المرجعية الفكرية والعسكرية المعتمدة في تطبيق هذه الخطة:

يظهر جليا تأثير دعوة المهدي محمد ابن تومرت[1] وفكره وعقيدته العسكرية على هذه الخطة وذلك من خلال فكرة التربيع في حد ذاتها. حيث أن فكرة التربيع من أهم ما ميز نظم الدولة الموحدية منذ بداية أمرها على يد المهدي ابن تومرت خاصة في المجال الاقتصادي والحربي.

---

1 - دعوة ابن تومرت والتي اشتهرت بين المؤرخين بدعوة الموحدين، ظهرت في بلاد المغرب الأقصى بين قبائل مصمودة، على يد محمد بن عبدالله بن تومرت ، وذلك خلال الثلث الأول من القرن السادس الهجري، كان محور أفكاره الدينية يرتكز على الدعوة إلى التوحيد، أي إثبات أن الله واحد، وبأن صفات الله من الأسماء الحسنى ليست إلا تأكيدا لوحدانيته المطلقة، ومن هنا اشتقت الدعوة الموحدية تسميتها و يعد ابن تومرت 473-524 هـ/ 1080- 1130م المؤسس والزعيم الروحي لحركة الموحدين.، حيث ارتبطت نشأة الدولة الموحدية بهذه الفقيه فهو الذي قام بالأعمال الأولى الممهدة لإسقاط دولة المرابطين وذلك عن طريق تنظيم نواة حركة اصلاحية دينية سياسية. وقد اختلفت المصادر في تحديد نسبه بين عربي شريف وبربري من هرغة . أنظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص.301 ؛ عبد الله علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971، ص.51

ففي الجانب الإقتصادي ينسب لابن تومرت عملة نقدية جديدة ذات شكل مربع وهي عبارة عن درهم فضي[1] ولهذا لقب بصاحب الدرهم المربع[2] وبذلك تكون هذه أول مرة تظهر فيها الدراهم المربعة. أما الجانب الحربي فقد اشتهر الموحدون باستعمال الطبول الكثيرة في جيشهم ومن أهمها الطبل المربع الشكل الذي يعود إلى أيام المهدي[3]. كما قام عبد المؤمن بإنشاء بحيرة كبيرة مربعة الشكل بمراكش وجعل منها مدرسة للتدريب العسكري البحري[4] وتخريج اطارات وقادة الاسطول ورجال البحر. ويرى الدكتور صالح بن قربة أن التربيع في السكة والمجال الحربي أنما يدخلان في نظم الحكم عند الموحدين فالأول يعتبر اساس النظام الاقتصادي والثاني أساس النظام الحربي[5] لهذا يمكننا القول أن المهدي ومن بعده عبد المؤمن أرادا جعل شكل المربع كرمز لهذه الدولة الخلافة[6].

يظهر جليا البراعة الحربية والاستراتجية العسكرية الفذة والعالية لدى عبد المؤمن من خلال تطبيقه لهذه الخطة حيث أرادا أن يحقق هدفين أثناء القتال وهما:

---

1 – حول الدرهم المربع: وصفه، شكله، وخصائصه أنظر صالح يوسف بن قربة: شخصية عبد المؤمن بن علي من خلال نقوده، الموقع الالكتروني: http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad25partie8.htm#_ftn4

2 – عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المقدمة، دراسة وتحقيق وتعليق علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004، ج2، ص.666

3 – ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص431

4 – ابن سماك العاملي: الحلل الموشية، ص.228

5 – بن قربة صالح ، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصين والمرينيين خلال القرون 6، 7، 8 هـ ، دكتوراه دولة، قسم الآثار ، جامعة الجزائر ، 1994 – 1995، ج1، ص.40

6 – يذكر ابن خلدون في مقدمته أن السكة أهم شارة من شارات الملك والسلطان **"وهي وظيفة ضرورية للملك، إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة"**، ص.664، 265

– عنصر المباغتة أو المفاجأة والتي لا تكمن في الهجوم ولا في توقيته بل في طريقة القتال الجديدة المبتكرة (أربع جهات) التي أبهرت خصومه وأربكتهم.

– شرط الثبات وإلتزام الأماكن أثناء القتال من خلال تحديد الصفوف الأربع وجعلها من المشاة، وتخصيص منافذ لخروج الفرسان وعودتهم إلى أماكنهم في وسط المربع، وبذلك فقد استفاد من إمكانيات جيشه المكون في غالبيته من المشاة الجبليين المعتادين على التربص والثبات في القضاء على سلاح خصومه الخطر وهو الخيالة إلى أقصى حد ممكن[1]

ثانيا: بالنسبة لأسباب وظروف تطبيق هذه الخطة الحربية:

ذكرنا أن أهم ما يميز هذه الطريقة القتالية أنها مباشرة (معركة مباشرة) بين الطرفين وتصلح في أرض منبسطة وتتطلب تحضيرا من الطرفين، ولهذا فإن عبد المؤمن لم يقدم على اتباع هذا النموذج من القتال إلاّ بعد دراسة استراتيجية دقيقة استمدها من خبرته العسكرية كجندي في جيش المهدي بن تومرت، ومن وصايا هذا الأخير لهم بعد هزيمتهم في معركة البحيرة، ويمكن تلخيص ذلك في النقاط الآتية:

1. استفاد عبد المؤمن من الأخطاء الاستراتيجية التي وقع فيها الموحدون في معركة البحيرة

والتي كلفتهم هزيمة عسكرية فادحة فقد فيها جيشهم أبرز القادة[2] ، وتكمن هذه الأخطاء في:

– الاعتماد على اسلوب القتال المباشر والذي يتطلب تفوقا على قوة العدو وتجسد ذلك في معركة البحيرة، ونظرا لظروف الموحدين آنذاك وعدم توفرهم على القوة اللازمة لذلك فقد تكبدوا تلك الخسارة وكادت أن تقضي على

1 – أحمد بدر: تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة الجديدة ، دمشق، 1980 ، ص.239

2 – أنظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص.305

حركتهم في المهد " **فتمسك بالأمل الأكيد وبالربح في المستقبل وهذا ما يفعله الاستراتيجي ما دام قادرا على تحمل الخسارة الآنية**"[1] ، ولهذا بعد تسلمه زمام الأمور بعد وفاة المهدي لم يقدم على مواجهة المرابطين في معركة مباشرة، بل اعتمد على نموذج القتال غير المباشر (الاستراتيجية غير المباشرة)، " **فهذا النموذج الحربي يلعب فيه الطموح الحربي والصبر دورين أساسيين، وأي معركة مباشرة مع العدو في تلك الظروف تعد حلاّ من أسوأ الحلول**"[2]

– حسب ما أورده النويري عن معركة البحيرة يبدو أن قتال الموحدين فيها كان من جهة واحدة فقط، فتمكن المرابطون من محاصرتهم والانقضاض عليهم[3]ـــ، ولهذا عندما قرر عبد المؤمن مواجهة المرابطين رسم خطة يكون فيها القتال من عدة جهات، فاتخذ من الشكل التربيعي سبيلا على ذلك.

2. بناء على الاعتبارات السابقة رأى عبد المؤمن أنه من الواجب تفتيت الخصم ماديا ومعنويا

وإزعاجه وزعزعة توازنه ، واستنزافه من كل النواحي و الإقتراب من جهات لا يتوقعها[4] قبل الإجهاز عليه إجهازا تاما ولهذا بادر عبد المؤمن بتطبيق خطة الجبليين المعهودة[5] التي كان أوصى بها المهدي بقوله " **لا تهبطوا للوطاء**

---

1 – جان غيتون: الفكر والحرب، ترجمة، الهيثم الأيوبي، أكرم ديري ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت، 1980ص. 105

2 – أكرم ديري: آراء في الحرب، ص.13

3 –أحمد بدر: تاريخ المغرب، ص. 403–404

4 – ابن سماك العاملي: الحلل الموشية ، ص. 201–202 ؛ ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص.17

5 – شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية ، تر محمد مزالي والبشير سلامة ، الدار التونسية، تونس 1979، ج2 ، ص.135

واتركوهم يصعدون إليكم"[1] ، فتجنب بإنتظام ملاقاة المرابطين في ساحة القتال ، ولم يخاطر بالنزول إلى السهل[2] بل عمل على توطيد سلطته في سائر أنحاء سلاسل جبال المغرب الأقصى[3] وهذه الميزة الدفاعية تناسبت تماما وظروف الموحدين العسكرية آنذاك . ومن جهة أخرى نجد أن المرابطين كذلك لم يغادروا السهل إلاّ قليلا ، واقتصر نشاطهم على ملاحقة الجيش الموحدي ، منتظرين هبوطه من الجبل ليسحقوا قواته[4]. ولم يدركوا أن الوقت يسير في غير صالحهم[5]. ويقول روجي ليتورنو " **أن هذه اللعبة استعمل فيها الخصمان أسلحة مختلفة تماما وكان كلاهما حذرا ، ــ بعد تجربة ــ من المخاطر التي تكتنف المغامرة في أراضي خصمه"**[6]

وخلال هذه المدة التي لم تكن أبدا في صالح المرابطين ، كان عبد المؤمن يعمل على استنزاف قواهم، فقد استولى على أراضي كثيرة كانت تابعة لهم، " **كما**

1- أبوبكر بن علي البيدق: كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق، عبد الحميد حاجيات ، ط2 ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986م،ص. 56

2 – البيدق: المصدر السابق، ص.78، 75؛ ابن سماك العاملي: الحلل الموشية، ص.201 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص 16–17؛ أبو الحسن علي ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1973، ص. 187

3 – ابتدأ بالأطلس الأعلى، ثم الأطلس الأوسط، ثم الريف، و اخيرا السلسلة الجبلية الواقعة جنوبي تلمسان، انظر البيدق: نفس المصدر، ص 75–82، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص.186 ؛ عبد الرحمن ابن خلدون: العبر، ج6، ص. 306–307

4 – البيدق: نفس المصدر، ص. 75–78 ؛ ابن سماك العاملي: نفس المصدر ، ص 200؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص. 15–16 ، ابن أبي زرع: نفس المصدر ، ص. 187

5 – احمد بدر ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص. 239

6 – حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و 13 ، ترجمة، أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982 ، ص.61

سعى جاهدا لكسب الأنصار لعقيدة الموحدين وتجنيدهم لخدمة الحركة" [1]، واعتمد في هذه المرحلة كذلك على حرب العصابات أو حرب الكر والفر، و هذه الطريقة اكتسبها الموحدون من طبيعة بلادهم الجبلية و كثرة حروبهم و قوة التدريب، فقد كان يبعث بسرايا تتكون من أكفأ الجند ، تقوم بهجومات خاطفة تشمل عمليات قتل، تغنم ثم تعود إلى مواقعها في الجبال[2]. و تميز أفراد هذه السرايا بالخفة و الشجاعة في القتال .

3. قبل تحديد زمان ومكان المواجهة المباشرة (معركة المربع القتالي) يمكن القول " أن عبد

المؤمن لم ينجح عمليا فقط في شطر أراضي المرابطين إلى شطرين من ناحية تازة، وفي أن يقيم ناحية مراكش المرابطية شبه حركة كماشة في سلسلتي الريف والأطلس فحسب ، بل إنه عزز جنوده أيضا تعزيزا كبيرا وأنشأ تدريجيا قوة فعالة أصبحت أكثر فأكثر قوة تضاهي قوة خصومه"[3]، وفي عام 539 هـــ / 1145 م وفي المنطقة القريبة من تلمسان وبعد أن تأكد عبد المؤمن أنه بلغ من القوة درجة تمكنه من الشروع في حملة حاسمة قرر بدأ الهجوم ، حيث حدد زمان ومكان المعركة والذي كان في السهل الواقع بين تلمسان ووهران.

ثالثا بالنسبة للنتائج المحققة من تطبيق هذه الخطة الحربية: يمكن الاستنتاج من النص:

---

1 – من خلال ما رواه البيدق، يبدو أنه قلما وجد الموحدون مقاومة من جانب القبائل الجبلية بل على العكس من ذلك فإن معظم تلك القبائل لم تجد من الصعب عليها اعتناق مذهب التوحيد . نفس المصدر، ص. 79،80،81

2 – البيدق: أخبار المهدي، ص.82 ؛ محمد حسن ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق، محمود علي مكي، كلية الآداب، تطوان، د.ت، ص. 211

3 – روجي ليتورنو: حركة الموحدين.. ، ص. 62-63

1. أن الموحدون حققوا نصرا كبيرا بتطبيق هذه الخطة حيث تمكنوا من تحقيق عنصر المفاجأة من خلال طريقة القتال الجديدة التي لم يسبق أن خاضها المرابطون من قبل، فتمكنوا بذلك من تشتيت قوات المرابطين التي لم تصمد أمام هذه الصفوف المتعددة.
2. تحقيق الجيش الموحدي انتصارا ساحقا حيث هزم الجيش المرابطي، و لم يزودنا بعدد قتلاه لكن يبدو واضحا أن العدد كان كبيرا، ورغم أن ابن عذارى لم يتحدث عن تفاصيل القتال في هذا اليوم لكنه أشار إلى قيمة الغنائم التي غنمها الجيش الموحدي "... **وكانت الغنائم التي استاقوها كثيرة زعموا أنها [كانت] نحو ثلاثين ألفا من الغنم واثنا عشر ألفا من البقر**"[1].
3. يقول ابن سماك العاملي: " **وفي ذلك اليوم (يقصد يوم منداس) ظهر أمر عبد المؤمن {بن علي}، وكثر جمعه، وكان من أعظم ما تأيد به عبد المؤمن على المرابطين قيام أهل الأندلس عليهم** "[2]، وبذلك نستنتج أن عبد المؤمن حصل على تأييد شعبي كبير سواء في بلاد المغرب أو الأندلس، وهذا ما انعكس ايجابا على مستقبل الحركة .
4. استطاع الجيش الموحدي بعد هذا الانتصار الذي حققه أن يتحول إلى سهول المغرب الأقصى، حيث مضى يخضع فاس أولا، ثم مدينة مراكش التي استولى عليها في ربيع عام 541 هـ / 1147 م بعد محاصرات طويلة.
5. تمكن الموحدون بعد سيطرتهم على تلمسان ووهران من فتح الطريق للسيطرة على المغرب الأوسط .

---

1 – البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص.19

2 – الحلل الموشية، ص. 203

6. تمكنوا كذلك من تطويق المرابطين بالمغرب الأقصى وقطع الطريق أمامهم شمالا والحيلولة دون تمكنهم من اللجوء إلى الأندلس وإقامة ملك جديد لهم هناك حيث يفيدنا ابن سماك بوجود نية في ذلك بقوله: " **وقد كان تاشفين بنى حصنا بمقربة من وهران على شاطئ البحر، وحصّنه واتخذه ملجأ، وأوعز لقائد أسطوله بالمرية أبا عبد الله بن ميمون أن يجهز له عشرة أجفان حربية تكون بمرسى هذا الحصن معدة لحادث يحدث عليه، وإن ألجأته ضرورة إلى الجواز إلى الأندلس جاز ..**"[1]

رابعا: بالنسبة إلى مدى استمرارية هذه الخطة القتالية:

الاشكال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: هل المربع القتالي أو الخطة التربيعية كانت خطة مجرد قتالية آنية فقط أم أنها نظاما قتاليا؟

– إنّ اتخاذ الشكل التربعي في المجال الاقتصادي (الدينار) والمجال العسكري (طريقة القتال، الطبول، المدرسة البحرية) كرمز من رموز نظم الدولة يدعو إلى إمكانية اعتبار الخطة نظاما قتاليا قائما بذاته يتميز عن نظم القتال المعهودة.

– عدم ورود هذه الخطة في مصادر[2] اهتمت بتسجيل أدق التفاصيل عن حركة الموحدين العسكرية ونظم دولتهم ورسومهم وأخبار خلفائهم يدعونا للشك فيما سبق ذكره وترجيح أنها كانت خطة قتالية آنية.

– اعتبارا بأن يوم المعركة كان أول مواجهة مباشرة بين الموحدين والمرابطين منذ معركة البحيرة وبعد سنوات من حرب الجبال، فإن عبد المؤمن وبصفته قائد الجيش وخليفة الموحدين بعد وفاة المهدي أراد في هذه المواجهة تجنب أي

---

1 – نفسه ، ص. 203-204.

2 – مثل أخبار المهدي للبيدق، المن بالامامة لابن صاحب الصلاة، نظم الجمان لابن القطان، وقسم الموحدين من البيان المغرب لابن عذاري.

خسارة محتملة فجعل القتال من جهات متعددة وتفادي أي خطأ يكرر هزيمة البحيرة.

– ما يؤكد هذا الشك هو عدم اعتماد هذه الخطة القتالية بعد ذلك، فإن كانت حروب عبد المؤمن بعدها لم يتوفر شروط تطبيق هذه الخطة[1]، فإن خلفائه من بعده خاضوا حروبا كثيرة فضلوا تطبيق نظام القتال الخماسي[2] فيها بدل خطة التربيع.

– إن اعتبار هذه الخطة نظاما قتاليا و أساسا للنظام الحربي ورمز من ورموز نظم حكمها أمر نتحفظ فيه، وإلاّ لحرصت رسائل الموحدين الرسمية على الإشارة إليها فهي بمثابة سجلات رسمية تتضمن من نظم الدولة ومؤسساتها ورسومها ما يشكل مادة خام للدراسة والتحليل.

في الأخير نسجل أن بحثنا هذا لم يلّم بكل جوانب الموضوع، فهو لازال يحتاج إلى دراسة من طرف متخصصين في المجال العسكري تدرج هذه الخطة ضمن أشهر واغرب الخطط العسكرية، وتضع لها بذلك مكانا في الموسوعات العسكرية العالمية.

1 – كما ذكرنا في الخصائص والمميزات أنها خطة تتطلب ارضا منبسطة ومنفسحة وتحضيرا من كلا الطرفين، أما عبد المؤمن اتخذت عملياته بعد ذلك طابعا هجوميا يعتمد على فن حصار المدن.

2 – أنظر ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص.226

قائمة مصادر ومراجع البحث:

- القرآن الكريم.

المصادر:

1. ابن أبي زرع الفاسي(أبو الحسن علي): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة ، الرباط ، 1973
2. البيدق (أبوبكر بن علي الصنهاجي) : كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق، عبد الحميد حاجيات ، ط2 ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1986م
3. ابن خلدون (عبد الرحمن):تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشيي والفهارس خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421ه/2000م ، ج6، ص.183
4. ابن سماك العاملي(أبي القاسم محمد) : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010
5. ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن محمد): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهما لله أئمة، وجعلهم الوارثين، وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين، و مافي مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين، تحقيق، عبد الهادي التازي، ط 1، دار الأندلس، بيروت، 1964
6. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تح محمد ابراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985/1406
7. الفيومي المقري (أحمد بن محمد): المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، 1987
8. ابن القطان (محمد حسن): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق، محمود علي مكي، كلية الآداب، تطوان، د.ت
9. المراكشي: عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963
10. ابن منظور المصري : لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مصر، د.ت، مج 2، 4، 5.
11. النويري (شهاب الدين أحمد): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق علي بوملحم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424ه /2004م، ج6

المراجع:

1. أحمد بدر: تاريخ المغرب والأندلس، المطبعة الجديدة ، دمشق، 1980
2. أكرم ديري: آراء في الحرب (الإستراتيجية و طريقة القيادة)، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،1981

3. آل ذهب شريف: شرح المفردات العامية في القصيدة الدارفورية (تراث قوم) للشاعر أحمد السنوسي أحمد، صحيفة صدى الأحداث السودانية، الموقع الالكتروني
http://www.sadaalahdas.com/news.php?action=show&id=113
4. بن قربة صالح يوسف ، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصين والمرينيين خلال القرون 6، 7، 8 هـــ ، دكتوراه دولة، قسم الآثار ، جامعة الجزائر ، 1994 – 1995، ج1
5. ــــــــــــ: شخصية عبد المؤمن بن علي من خلال نقودهن الموقع الالكتروني:
http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad25partie8.htm#_ftn36
6. جوليان شارل اندري: تاريخ افريقيا الشمالية ، تر محمد مزالي والبشير سلامة ، الدار التونسية، تونس 1979، ج2
7. سالم سليمان الخماش: ألفاظ الحياة في معجم القوس على الموقع الالكتروني:
http://www.angelfire.com/tx4/lisan/dirasat/Qaws.htm#_ftn127
8. شبكة الفتاوي الشرعية. مادة ذراع، الموقع الالكتروني:
http://www.islamicfatwa.com/index.jsp?inc=17&id=202&type=4&cat=11
عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الاسلام، دار المعارف، مصر، 1961
9. عبد الله علام: الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، مصر، 1971
10. قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية على الموقع
http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/12_S/S_101.html
11. كمال أحمد عادل: الطريق إلى المدائن، ط1، دار النفائس، بيروت، 1986
ليتورنو روجي: حركة الموحدين في المغرب في القرنين 12 و 13 ، ترجمة، أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982
12. المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1425ه/2004م .
13. معروف حفصة: الفكر العسكري عند الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، دار شطايبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 1434ه/ 2013 م
14. ــــــــــــ: الاستراتجية العسكرية عند عبد المؤمن بن علي الموحدي ضمن دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، العدد4، 2010
15. الموسوعة العسكرية، تقديم الهيثم الأيوبي، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1985 ،ج2.
16. هارت ليدل: الإستراتيجية و تاريخها في العالم، تر الهيثم الأيوبي، ط1، دار الطليعة، بيروت 1967، ص. 399؛ الموسوعة العسكرية، ج 1.